العنوان:	ثقافة الطفل بين الهوية والغزو الثقافي
المصدر:	مجلة الكلية الإسلامية الجامعة
الناشر:	الجامعة الاسلامية
المؤلف الرئيسي:	جنزي، حسن طالب
مؤلفين آخرين:	عبيد، وصفي فالح(م . مشارك)
المجلد/العدد:	مج9, ع28
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الشهر:	ذوالحجة / تشرين الأول
الصفحات:	509 - 535
رقم MD:	612861
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الهوية العربية ، الغزو الثقافي ، الثقافة الغربية ، ثقافة الطفل
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/612861

ثقافة الطفل بين الهوية والغزو الثقافي

المدرس المساعد
حسن طالب جنزي

المدرس المساعد
وصفي فالح عبيد

جامعة البصرة ـ كلية الفنون الجميلة

ثقافة الطفل بين الهوية والغزو الثقافي

المدرس المساعد
حسن طالب جنزي

المدرس المساعد
وصفي فالح عبيد

جامعـــة البصـــرة ـ كليـــة الفنـــون الجميلـــة

المقدمة:ـ

تعتبر الثقافة مجموعة من الاشكال والمظاهر لمجتمع معين وهي المحتوى الفكري والفني للحضارة؛ حيث يُقصد بالثقافة عادة مجموعة معقدة من المعارف والمعتقدات والأخلاق والقانون والدين والتقاليد والأساطير والفنون، تؤلف كلا متميزا يطبع حياة جماعة عرقية أو دينية أو اجتماعية. وثقافة الطفل واحدة من اهم مكملات تلك الثقافات باعتبار ان الثقافة تنبني من الطفل والطفولة عالم خاص متميز عن عالم الكبار، لذا يجب الاهتمام به وتوجيهه وجهة تربوية ونفسية واجتماعية سليمة عن طريق توفير الخدمات اللازمة له لإشباع حاجاته وميوله ورغباته،وفي ظل سطوة الاتصالات الجبارة المهيمنة، وامتدادها إلى المعلوماتية التي ضاعفت تأثيرها سلباً والمتمثل بالغزو الثقافي وآثاره على هوية هذه الثقافة كان على الباحثان لزاما دراسة مثل هذه التهديدات الخطيرة على عالم وخيال الطفل باعتباره الارضية الحقيقية لبناء أسس صحيحة للمجتمع، عبر الاجابة عن التساؤلات الآتية:

لماذا نثقف اطفالنا؟ وكيف نثقفهم؟ وبماذا نثقفهم؟ وهل هنالك خصوصية وهوية ثقافية للطفل؟ وهل هنالك مؤسسات فاعلة تعمل على ثقافة الطفل؟ ما هي الوسائل المستخدمة في عملية التثقيف؟ وهل هنالك عوامل خارجية تؤثر على ثقافة الطفل؟

يسعى البحث إلى التعرف على ثقافة الطفل بين خصوصيتها وهويتها وبين تأثير العولمة والغزو الثقافي في تأسيس المفاهيم والافكار سلبا على الطفل عبر الوسائط والوسائل الناقلة للثقافة رغم اهميتها التي لا ننكرها لذا فنحن بحاجة لدراسة جادة وفاعلة تتناول دور ثقافة الطفل وان وجدت فقد يقابلها المعنيون بالتثاوب والتهاون في مسألة وضع الحلول والتوصيات المهمة رهن التطبيق..

الفصل الأول

الاتصال الثقافي وتجسيد ثقافة الأطفال

تمثل حياة الإنسان سلسلة متداخلة ومتطورة من المراحل ولعل أهم مراحلها هي سنوات الطفولة، وتعد الأسرة المنبع والكيان الصلب الذي يشكل فيه الطفل رؤاه وأفكاره وتوجيهاته وتطلعاته وميوله ومهاراته، عبر توفير الجو الدافئ والحنان.

إن الغاية من التربية والتعليم لهذه المرحلة المهمة والحساسة هي بناء وتنمية الاحساس بحب الحياة والكشف عن القدرات الهائلة الكامنة في الذات وتعتبر دراسة الاطفال واحدة من المعالم التي يستدل بها على تبلور الوعي العلمي في المجتمع، لأنه يشكل نتيجة مرنة ومتكاملة وموضوعية وشاملة عن الأطفال وواقعهم ومستقبلهم. حيث ان الدراسة العلمية للطفولة تعني اخضاع الأطفال للمناهج وأدوات التفكير العلمي وصولا إلى فهم الطفولة، ووضع أسس سليمة لأساليب الاتصال بهم تعليما أو تربية أو تثقيفاً[1].

والثقافة Culture هي البيئة التي يحيا فيها الإنسان والتي تنتقل من جيل إلى جيل متضمنة الأنماط الظاهرة والباطنة من السلوك المكتسب المتكونة من الأفكار والعادات والتقاليد والمعتقدات واللغات والفنون والقيم وغيرها من النشاطات والأفكار باعتباره عضوا في المجتمع)[2].

وللثقافة بعدان بعد معنوي متمثل بكل ما هو قيمي و فكري وآخر مادي يتمثل في جميع الأشياء المادية المستخدمة كالأدوات والألبسة ووسائل الاتصال والوسائط الأخرى وهي حصيلة للنشاط الإنساني عبر الاجيال ويطلق عليها اسم البيئة المصنوعة، حيث يستلم كل جيل عناصره وأفكاره من الجيل الذي يستقبله ويستلم منه ويخرجان في بنيات جديدة ويرجع اختلاف الثقافات إلى اختلافات الناس في تلك المجتمعات كماً وكيفاً ونوعاً[٣].

وثقافات الاطفال هي احدى الثقافات الفرعية في كل مجتمع ولها تفردها وخصوصيتها وعالمها وسلوكها الخاص وسماتها المميزة تتبع وسائل وأساليب الاتصال الثقافي بحسب المراحل العمرية (الميلاد، مرحلة الطفولة المبكرة، مرحلة الطفولة المتوسطة، مرحلة الطفولة المتأخرة) فهي تعتبر واحدة من أرقى اشكال التخاطب بين افراد المجتمع (فالثقافة هي التجربة التي تلخص الجوانب الابداعية والاجتماعية والسلوكية والعقائدية، التي تميزها بين مجتمع وآخر، وبين ثقافة وأخرى)[٤].

دور وسائل الاتصال في تجسيد ثقافة الطفل:ـ

الطفل كما هو معروف يعني مستقبل أي أمة من الأمم، وبناء شخصيته وثقافته بناء متيناً يعني بناء المستقبل. وتتم عبر وسائل الاتصال بأنشطتها المختلفة، ودور التربية الفنية لهما دور رئيس في تكوين الطفل وتنمية جوانبه الفنية والجمالية والادراكيه والمعرفية والحركية والثقافية. وسيتطرق الباحثان لهما بجزء من التفصيل:

١ـ الكتاب: (القصة والمجلة):

تعد القصة أبرز أنواع أدب الأطفال، فهي تؤثر تأثيراً واسعاً وعميقاً على الطفل، لأنها أشد التصاقاً بذاكرتهم، وأعظمها تأثيراً في تكوين سلوكهم

المكتسب من خلال شغفهم بتقليد كل ما يقع تحت أبصارهم، أو يدخل أسماعهم. فالطفل إنْ لم يجد التوجيه المناسب في الزمن المناسب حول ما يتلقفه وجدانه من قصص؛ فهي تشبع لديه حب الاستطلاع وتمده بالمعلومات الضرورية التي تساعده على حل كثير من المشكلات واكتساب الثقة بنفسه والقدرة على التعبير عن الافكار والمشاعر لما تلعبه الكلمة من تجسيد للخيال عبر تكوين الشخصيات والاجواء والمواقف ذهنيا وتقود إلى إثارة العواطف والانفعال لدى الطفل،" فالقصة تشكل وعاء لنشر الثقافة بين الأطفال لان من القصص ما يحمل أفكاراً ومعلومات علمية وتاريخية وجغرافية وفنية وأدبية ونفسية واجتماعية، فضلاً عنما فيها من اخيلة وتصورات ونظرات، ودعوة إلى قيم واتجاهات ومواقف وأنماط سلوك"(٥).

ومن أهداف وأهمية القصة التي تمنحها للأطفال تمجيد أعمال البطولة وابراز دور الخير والشر وتوفر لهم فرصة الترفيه واطلاق عنان الخيال والالمام بالصور وتهيء لهم الخبرة عبر المواقف المقصوصة والاثارة والبطولة وجل اعمال الخير والعادات الجيدة ونبذ العادات القبيحة والشريرة والافكار السلبية، فالطفل يتخذ من الابطال مثالا له وقدوة وتجنب الشر لما تمنحه القصة من الحكم والعبر والتجارب المختلفة والمواقف الأخرى. ناهيك عن ترسيخ الثقافات بجل انواعها الاجتماعية والدينية والتجربة الفنية عبر أنواع القصص التي تحمل المضامين ومنها القصص الحيوان والقصص الشعبية والقصص الدينية والاجتماعية وقصص البطولة وقصص التاريخية والفكاهية.

أما المجلة فلها امكاناتها في تصوير المعاني وتجسيدها عبر الرسوم والالوان والكلمة المطبوعة وهي فن تصويري قريب من الاطفال لتفكيره الصوري وتعمل الكلمة مع الصورة في اعطاء طابع مفاهيمي فهي تنقل الذائقة الجمالية والافكار العلمية والثقافية والمعلوماتية بكافة اختصاصاتها وتعطي للطفل تنوع

في المواضيع والافكار والمسابقات والمعلومات والطرائف وغيرها.

٢ ـ الإذاعة والتلفاز والبث الفضائي:

تعدّ وسائل الإعلام المرئية والمسموعة مصدرًا مهمًا من مصادر التوجيه والتثقيف في أي مجتمع، وهي ذات تأثير كبير في ثقافة الطفل، واخذ الاعلام انتشارا واسعا سواء الإذاعي أو الفضائي، أو حتى المواقع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية، وتجاوزه لجميع الحدود وتخطيه أقصى المسافات، وأصبح أثره واضحًا على كافة الأصعدة، ولا شك أن الاطفال من الطبقات المستهدفة لجميع الجهات، إذ لا يخفى ما لهذه الفئة من تأثير على مجتمعاتها وبالتالي على مكانة بلادهم ـ سلبًا أو إيجابًا ـ في الواقع المعاش (فالكلمة المنطوقة تعطي طابعا ذهنيا تصويريا من خلال قيام الصوت باعطاء طابع انفعالي يحرك احساس الطفل وشعوره كالفرح والحزن والالم والنداء....الخ مما تمنح المؤثرات الصوتية قوة التخيل والتذكر والتفكر لدى الطفل. (وافضل الصيغ الفنية لطريقة الاتصال الثقافي بالاطفال عبر الاذاعة هو الشكل القصصي سواء كان مرويا ام ممثلا ام ممسرحا أو على شكل دايالوج قصير)[٦].

والتلفاز أحد أهم هذه الوسائل الإعلامية التي تشغل حيزًا كبيرًا من أوقات كبارنا وصغارنا الأكثر انتشارًا وتأثيرا في حياتنا حيث القدرة العالية على تجسيد المضمون واستعانته بالعناصر السمعية والمرئية وامكانية عرض المشاهد الواقعية والخيالية ومن ناحية أخرى فقد ياخذ الطفل فترات اكبر امام التلفاز اكثر من فترات التي يقضيها الابوين امع الطفل اثناء السرد القصصي.[٧] فهو يزيد من ثقافة الأطفال نحو العالم والحياة المحيطة.يتعلم الطفل من خلال المسلسلات والافلام نسيج الحياة الاجتماعية والعلاقات بين الناس كما يزيد في الحصيلة اللغوية والمفردات والمعاني.

أما الانعكاسات السلبية التأثير على العقيدة والدين لأن معظم الجهات

المسؤولة عن إنتاج أفلام الكرتون هي يابانية أو أمريكية.إرهاق العينين والتعب الجسدي نتيجة الجلوس الطويل. قتل الخيال عند الأطفال لوجود الأفلام الخيالية.

يمكن أن يبث برامج تتعارض مع قيم وعادات وتقاليد وثقافة ودين المشاهدين.

من الأسباب التي تشجع الجريمة والعنف والفساد. عملية الإدمان على مشاهدة التلفاز تقلل من فرص المطالعة وتقلل من نمو خيال الطفل.[٨] كما ان البث الفضائي هو احد الوسائل المتقدمة تكنولوجيا في التقنية والتطور في وسائل الاتصال عبر نقل المعلومات والصور وتداخل الافكار واختلاط السلبي بالايجابي.

٣ـ مسرح الطفل:

يعتبر مسرح الطفل (مؤسسة تعليمية تثقيفية تقدم عروضا مسرحية مخصصة للاطفال تربوية هادفة تعمل على تسلية الطفل وتثقيفه وتدريبة على ممارسات المسرح)[٩] فمع غزارة النتاج الأدبي والفني في كل الميادين الا ان أدب الطفل لم يكن له نصيب من الاهتمام ومنها مسرح الطفل الذي يمثل القيمة التربوية الاخلاقية لأنه يبحث في تأسيس أهداف وسلوكيات واغراض تعليمية ترفيهية ثقافية فمسرح الطفل من اعظم الابتكارات التي تنمي عقلية الطفل فقد جاء هذا الاهتمام متاخرا في البلاد العربية مقارنة ببداية مسرح الطفل العالمي كما هو الحال مع تمثيليات خيال الظل في القرن التاسع عشر)[١٠].

يعمل المسرح على تطوير مؤهلات الطفل الفردية وقدراته وميوله واهتماماته الابداعية كما يعمل على تطوير المجال الذهني وحب الاستطلاع والقدرة على اتخاذ القرارات المستقلة وطرح التساؤلات والبحث عن الردود

واستقصاء الحلول وتنمية الذوق الجمالي عبر فاعلية المشاركة بجميع حواس الطفل عبر التلقي المباشر المتمثل بالحضور الذهني[١١].

٤ـ الرسوم المتحركة وأفلام الكارتون:

أن الرسوم المتحركة تعد واحدة من أهم برامج الأطفال التي تعرض على التلفزيون وفي القصص والمجلات، فإن لها دور كبير في جذب الأطفال وشد انتباههم، وتوسيع أفق التفكير وتنشيط خيال الطفل وهي محبذة لدى الطفل نظرا لاختزالها في رسم الشخصيات ومتعة الأوان التي تعمل على جذب الطفل

إن أفلام الكرتون والرسوم المتحركة الموجهة للأطفال من الممكن أن تكون خطراً حقيقيّا وتتحول إلى سموم قاتلة، ووجه الخطر في هذا عندما تكون هذه الأفلام صادرة من مجتمع له بيئته وفكره وقيمه وعاداته وتقاليده وتاريخه، وقد تكون العكس ايجابية تثير القيم والأخلاق.

٥ـ البرامج التطبيقات:

البرامج Program هي مجموعة من الأكواد تؤدي وظيفة معينة،، قد تكون هذه الوظيفة مفيدة للمستخدم وقد تكون لا تفيد المستخدم،، المهم أن هنالك اكواد وهنالك نتائج،، قد يكون البرنامج مهمته أن يظهر في الشاشة كلمة ترحيب فقط،، ويعتبر مع ذلك برنامج، ويتم انشاء البرنامج بواسطة أحد لغات البرمجة مثل السي أو السي شارب أو الجافا.

و التطبيق أو (برنامج تطبيقي)Application ، يتميز بأنه متكامل، حيث ان كل تطبيق هو برنامج في نفس الوقت أو عدة برامج تعمل مع بضع، لكن ليس كل برنامج هو تطبيق في نفس الوقت. التطبيق له تفاعل مع المستخدم، حيث يقوم المستخدم من خلاله بتنفيذ المهام والأعمال وغالباً ما يكون التطبيق محتك

بالمستخدم وقريب منه وامثال ذلك تطبيقات الهاتف المحمول والاجهزة النقالة وأثره الايجابي والسلبي على الطفل. وكذلك الالعاب الالكترونية وتطبيقاتها.(لقد كان الكتاب الإلكتروني أو تعميم استعمال الكمبيوتر ومن بعده "الانترنيت" وأثناء ذلك "المالتيميديا"، وهي الاستعمال المتعدد بتقانات متعددة للوسائط الاتصالية، دون ترشيد، سيؤثر سلبياً على تنمية ثقافة الأطفال، وسيشكل خطراً على نماء الطفل نفسه معرفياً وجمالياً)(١٢).

شرع الغرب في نشر لغته ونموذجه الحضاري داخل الأوساط الاجتماعية مستغلا الضعف الذي كانت الثقافة العربية والإسلامية تعاني منه، فعمل الاستعمار الغربي على زيادة تهميش عناصر الثقافة العربية والإسلامية، وأهمها اللغة العربية كأداة فاعلة لنقل الثقافة والمحافظة عليها، باعتبارها الوسيلة الوحيدة للارتباط بالموروث الثقافي للأجداد، هذا الموروث الذي كان وما يزال يغذي و يعمق إمكانات التحدي و البقاء، و يمكن من الاستمرارية ويقاوم الذوبان الحضاري. لذلك فمن بين أهم الشعارات التي رفعت في وجه الاستعمار وساعدت بشكل حاسم في إخراجه وتحقيق الاستقلال، كان شعار، الدفاع عن الهوية.

الفصل الثاني

تحديات الهوية الثقافية في ظل الغزو الثقافي للطفل

الهوية Identity: وهو اشتقاق من: من هو؟ وهي عملية تمييز الفرد لنفسه عن غيره ومن سماته والهوية الواضحة كهوية جواز السفر التي تحدد جنسية الفرد وديانته، أما مبدأ الهوية المقصود به أن الموجود هو ذاته أو هو ما هو، فالهوية أن يعرف الشخص جذوره وميوله ويؤكد على انتمائه لهذه الجذور.(١٣) وإذا كان الوعي بالذات وبالآخر يوفر هوية وخصوصية وتمايزا في

أدب الطفل العربي، ومتمثلا بالتراث واستلهامه وتأصيله، المتمثلة في التقليد الأدبي القومي، الذي يضمن السيرورة والفاعلية بغنى موروثاته التي تستجيب لعمليات التلقي المجدي والمشاركة الإيجابية، وهما ضرورة لكل ثقافة حية. فالاستناد إلى التراث العربي الثري كمصدر رئيس لثقافة الطفل باعتباره ينبوع الثقافة الحية ومعيناً لوعي الذات والهوية القومية ليكون أساساً للتنشئة الاجتماعية الهادفة نحو التفتح والانطلاق والإبداع كذلك اللغة العربية لما تحمله من خصوصية ودلالات لأنها لغة القران الكريم، ترسيخ القيم والعادات والتقاليد والعقائد الإسلامية مع الاهتام بالتاريخ العربي الإسلامي كمرجع في ثقافة وأدب الطفل ولابد من مواجهة موجة التغريب الثقافي التي تهدد الأصالة الثقافية لدى الناشئة بتوفير بدائل عملية من خلال برامج متقدمة تقنياً شكلاً ومضموناً.

والتأكيد على التراث العربي بمصادره الدينية والتاريخية والأدبية والشعبية والأسطورية، "إن الاهتمام بالتراث وتأصيله واستلهامه في أدب الطفل العربي، لا يعني الوعي العميق والإدراك القومي والنظرة الثاقبة لمكانة أدب الأطفال في التنشئة السليمة فحسب، بل يفيد بالدرجة الأولى الإجابة عن أسئلة الهوية القومية في أكثر المكونات الصرفية تأثيراً على وجدان الناشئة، ولاشك، أن المكونات الصرفية لا تنقل أو تجتلب، بل ينبغي لها أن تمثل في التقليد الأدبي القومي الذي يضمن السيرورة والفاعلية بغنى موروثاته التي تستجيب لعمليات التلقي المجدي والمشاركة الإيجابية، وهما ضرورة لكل ثقافة حية."(١٤)

لقد هيمنت الثقافة الغربية أو ما تسمى بمصطلح التغريب حيث يُطلق "التغريب"، في الاصطلاح الثقافي والفكري المعاصر، غالبًا على "حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخْذ بالقيم والنُظم

وأساليب الحياة الغربية؛ بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم الذي له هذا الموقفُ أو الاتجاه غربيًا في مُيوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، ينظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قِيم ونُظم ونظريات وأساليب حياة نظرةَ إعجابٍ وإكبار، ويرى في الأخذ بها الطريقة المُثلى لتقدُّم جماعته أو أمته الإسلامية"[١٥].

يُراد بـ "التغريب"، في اللغة العربية، النفي والإبعاد عن البلد، يقول ابن منظور: "... وغَرَّبَه، وأغْرَبَه: نَحّاه... والتغْريبُ: النَّفْيُ عنِ البلد... ومنه الحديثُ: أنّه أمَرَ بتَغْريب الزّاني؛ التّغْريبُ: النّفيُ عن البلدِ الذي وَقعَتْ الجنايةُ فيه. يُقال: أغْرَبْتُه وغَرّبْتُه إذا نَحّيْتُه وأبْعَدْتُه... وغَرّبَه وغرّبَ عليْه: تَرَكَهُ بُعْدًا"[١٦].

فيعمل الغزو الثقافي على احتلال عقل الطفل وتهميش الذات واضعافها عبر آليات اشتغالها ووسائلها الضاغطة على عالم الطفل وأدبه ويتشكل الغزو الثقافي عبر عدة عوامل نلخصها بالتالي:

الاستقطاب والهيمنة:

ينظر الغرب إلى الثقافات الأخرى بنظرة استعلاء وهيمنة الاحساس بالتفوق عبر ارجاع ظاهرة العنف والاحتلال للشعوب أما في المجال الفكري فقد عمد الغزو الثقافي عبر فلسفاتها التي تدعو إلى تمجيد القوة والعظمة للإنسان امثال طروحات داروين وفلسفة نيتشه (الإنسان الاقوى) وقيم فلسفية البرجماتية النفعية وغيرها التي انعكست بصورة واضحة على ثقافة الطفل بشتى انواعها مع تسويق العنف ومحاولة السيطرة على فكر الطفل أما في المجال الاقتصادي فقد هيمنت المنتجات والسلع الغربية كذلك في مجال الحراك الاجتماعي وقد ارتبط توظيف الإعلام في الغرب بالحاجة إليه سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وتربويا

كما ازدادت الحاجة إليه مع الحروب وتوظيف المعلومات في الحروب للتأثير على الخصم فيما عرف بالحرب النفسية.

التبعية:

بدأ مفهوم التبعية، اقتصادياً، ثم ما لبث أن امتد إلى المجالات الكونية الأخرى، مع تحول العالم نفسه إلى قرية صغيرة كونية، بفضل هيمنة الوسائل الاتصالية، سيما الاتصالات والمال والاقتصاد والمعلوماتية. إذن صار هناك مركز متبوع، وأطراف أو هوامش تابعة.(١٧)

العولمة:

أو الكوكبة Globalization مفهوم ومصطلح انتشر في السنوات الاخيرة، فكرته الأساسية ازدياد العلاقات المتبادلة بين الامم سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات، أو في انتقال رؤوس الاموال أو في انتشار المعلومات والافكار وسرعة تدفقها، أو في تاثر امة بقيم وعادات وتقاليد وقواعد غيرها من الأمم، والعمل على اضعاف القوميات والفكرة السيادة الوطنية.(١٨)

يذهب بعض المفكرين والباحثين إلى ان العولمة فعل يقلص امتداد الكون في هوية واحدة متاجنسة ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا وبالتالي ينعكس اثرها السلبي على تشكيل وبناء ثقافة الطفل وفق رؤاها ومصالحها حيث اصبح العالم باسره شبكة من التفاعلات تتخطى حدود الطفل وهويته القومية وترسم سياساتها من خلال هذه الوسائل والوسائط أو ثورة المعلومات.«أما النتيجة النهائية ـ لسيادة نظام العولمة، فإنها تعني تحطيم الأطفال تماماً واستباحة عوالمهم الداخلية، من أجل غزوهم ثقافياً وسياسياً وتشكيل عواطفهم الإنسانية والسياسية، وأفكارهم حول الذات والوطن والأمة والقومية والعالم والمستقبل على النحو الذي يريده نظام العولمة"(١٩).

تطبيقات الغزو الثقافي وأثره على ثقافة وهوية الطفل

هكذا لازم مفهوم الغزو الثقافي معاني الوجود القومي الثقافي في نهوضه وتحققه الذاتي، مرورا بثقافات الطفل فالمشاهد السلبية التي تصل للطفل عبر وسائل الاتصال تربي الأطفال على العادات السيئة، فقد كشفت دراسة حديثة عن أن الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون لأكثر من ساعة في اليوم معرضون لأن يكونوا عنيفين في المستقبل لان اغلب أفلام الكارتون الحالية هي عبارة عن حروب وقتال، ونادرا ما نرى الأفلام التعليمية وقد يقوم الطفل بتقليد ما يحصل فيها مما يؤدي إلى الأضرار بالطفل نفسه وبالمحيطين به التأثير الاخلاقي نشاهد الان الكثير من أفلام الكارتون قد أصبحت كأنما فلم سينمائي رومانسي فأصبحت تحتوي على علاقات الحب والمشاهد الحميمة، مما يؤدي إلى انحراف الأطفال في سن مبكر ليس في المراهقة بل حتى منذ سن الطفولة، اضافه إلى اللبس الغير محتشم لدى فتيات سواء مقدمات برامج الأطفال أو حتى في افلام الكارتون نفسها مما ادى إلى تأثر الكثير من الإناث بهن ورغبتهن وإلحاحهن على تملك نفس الملابس التي تظهر في التلفاز وبات هذا واضحا كما نشاهده في محلات ملابس الأطفال.

إن أفلام الكرتون والرسوم المتحركة الموجهة للأطفال من الممكن أن تكون خطراً حقيقيّا ثم يكون المتلقي أطفال بيئة ومجتمع آخر وأبناء حضارة مغايرة، فإنهم بذلك سيحاولون التعايش مع هذه الأعمال والاندماج بأحداثها وأفكارها ولكن في إطار خصوصيتهم وهويتهم التي يفرضها عليهم مجتمعهم وبيئتهم، فتصبح هذه الأفلام والمسلسلات في هذه الحالة مثل الدواء الذي صنع لداء معين، ثم يتم تناوله لدفع داء آخر، فتصبح النتيجة داءً جديداً.

عمدت بعض الشركات الانتاجية والفضائيات إلى القيام بعملية هدم مستمرة ليس فقط بتضييع الهوية بل بتضييع المروءة عبر تدييث له، التي تطبّع

على افكار الايمو والشذوذ الجنسي وتداول الكلمات السيئة والبذيئة، هذه العملية هي تدمير ببطئ للطفل، فهي رسالة ظالمة اعتدائية تخترق الاعصاب سببها عدم التواصل وتربية ثقافات الطفل، عبر الاسئلة التالية ماذا يقرا الطفل وماذا يشاهد وماذا يسمع؟

أصبح الغزو الثقافي يمول العالم اجمع والعربي منه بالجرائم الجاهزة التي ترتكب بحق الطفل، لهذا تعجز بعض الاسر في فهم تلك الثقافات الممغنطة والضاغطة على عقلية الطفل بصورة ظاهرة علنية وأخرى مموهة، فقد تحولت شركة (والت ديزني) إلى اداة لنشر السموم الماسونية والصهيونية حول العالم شكل(١) وبعد سيطرة المنظمات الشيطانية على الاعلام اصبحت برامج الاطفال عبارة عن مسرح للالعاب تبث الافكار الشيطانية وتصوير الاشباح والوحوش والمسوخ....الخ ويتلقاها الطفل بشيء من الغرائبية التي تحال إلى تصديق هذه المعتقدات تحت مسميات الخيال الواسع والقوة الخارقة.

أنها معتقدات تمحو الهوية العربية والإسلامية والذات أنها تصادم العقل وتحث الطفل على العنف والشر وارتكاب الجرائم وتعلم السحر والشعوذة، والاخطر من هذا كله طرح الايحاءات الجنسية الصريحة ويتعدى ذلك إلى تقريب الشذوذ الجنسي، والتشبه الرجال بالنساء والعكس. فلا توجد كلمة يقراها الطفل ولا صورة يشاهدها الا وخزنت في عقله الباطن الذي يشتغل بنسبة ٨٠٪ عن العقل الواعي وبالتالي تخرج هذه التصرفات بشكل افعال واذا ما كررت اكثر من ٢١ مرة فقد تصبح نظام.

تحمل بعض الافلام الكارتونية رسائل خفية قصدية ربما هي من المحرمات لدينا أو ان عقلنا لا يتقبلها امثال الطعن في المعتقد الديني ففي الفلم (علاء الدين) من شركة ديزني يعرض مشهد يمثل الاهانة بالقران الكريم والمعتقد الإسلامي حيث يقوم المارد بسحب شريط من عقل علاء الدين لم يعجبه

ومسحه بمؤخرته ولو تمعنا جيدا بالمقطع لرأينا وللاسف ان الشريط يحوي على اية من القران الكريم "واذا كنتم مرضى أو على سفر فعدة من ايام اخر" ومن ثم يتحول المشهد إلى طقوس الديانة الهندوسية وتحل شخصية علاء الدين بشخصية اله هندوس (براهما) فهي دعوة للوثنية ومحاربة للعقيدة الإسلامية. شكل (٢)

اما قصص الرجل الاخضر فقد تنقلنا إلى عالم التحول من الخير إلى الشر بين روح الضعف والقوة والتسامح والشر فالشاب (بروس باند) يقع بالخطأ أمام تجربة علمية يتحول على اثرها إلى شخصية عملاق بشع ذو قدرات هائلة. تقوم المغامرات على اساس العداوة التي يقدم عليها البعض فتكون المواجهة دائما لصالح الرجل الاخضر وهذا يتم الصراع عبر رسوم كارتونية تثير المشاهد العدائية والدم. شكل(٣)

اما في الشكل (٤) الذي يمثل قصة الابطال الخارقون فمن يمتلك ٩٩ قطعة لاحجار كريمة من يصبح بطلا خارقا يحمل قدرات هائلة تتجاوز قدرة الإنسان وهي طريقة للطعن بالمعتقد الديني واسماء الله الحسنى التسعة والتسعون.

ونلاحظ في الشكل(٥) ان مجموعة من ذوي القدرات الخارقة ال(٩٩) يتصدون لرجال من المسلمين الذين يحاولون قتل الشعوب وترهيب الناس لاعطاء صورة بان المسلمين همهم الدمار والارهاب. ناهيك عن مشاهد القتل البشعة التي يتلقاها الطفل وتنعكس سلبا على مخيلته، شكل(٦)

في اواخر القرن الثامن المنصرم، صدرت مطبوعات عن دار الرافدين للنشر وهي مطبوعات (الرجل الخارق) "السوبرمان" وصدرت من ضمن هذه الاعداد الخاصة بعنوان"سيف كونان الجبار" وهي تمثل شخصية الرجل البربري ذو العضلات المفتولة كونان السامري واحداث القصة تدور في

عسقلان التي تتصارع فيها قوى مختلفة للسيطرة على حظوة ملك مجنون يظن نفسه اله، وتظهر هذه القصة رجلا بزي عربي وهو يعانقها فالرسالة التي تظهرها القصة هي مؤشر خطير يبين ان فلسطين كانت تعيش فترة من الضياع والانقسام وان ذلك الرجل البربري هو الوحيد الذي يمتلك العقل وحسن التصرف فهو الرابح الاكبر فيها.وتنتهي القصة بفوز كونان بالجارية (رفا) اما الملك اله فيموت بعد ان يظن نفسه انه يستطيع الطيران فيرمي بنفسه من على برج عال. شكل(٧).

تعد شخصية (تان تان) من اشهر الشخصيات في كتب الاطفال المصورة وهي شخصية فتى مغامر ينتقل بين بلاد بلاد مختلفة مع فريق من الشخصيات الصديقة له ويصحبه كلب صغير. تكشف هذه المغامرات عن شخصية الطفل الاوربي الذكي الذي يعالج مشاكل وأزمات يصعب حلها. هو بمثابة جاسوس صغير يتجول في البلدان الواسعة،تظهر بصورة ايجابية ما عدى البلدان الإسلامية التي تظهر بالمشاهد كبيوت من الوبر وما زالوا همجا كما تتصورها المغامرات في قصة الذهب الاسود.

أما الشكل(٨) فيظهر (تان تان) برجل يقوم بمساعدة السلطات في القبض على عصابة مشهورة اسم منفذها (عمر سلاسل) تتخذ من المسجد مكانا لتهريب المشروبات الكحولية والمخدرات الأكثر فتكا.ويظهر الحوار ان العرب يقومون بشتم (تان تان) وهو يصفهم بآكلوا لحوم البشر.وهناك رسوم تبين اهانة (تان تان) برجل يصلي. شكل (٩) وهذا يحيلنا إلى ان المخطط الاستعماري تعطي فكرة ان المسلمين هم ارهابيين يسدرون المخدرات والاسلحة ويضعونها بالمسجد اماكن العبادة ويعطون اسما للشخصية حتى تخزن بالعقل الباطن كصورة ذهنية ويتم الربط بهذه المخططات عندما يكبر. الشكل (١٠)

لا يفوتنا أن نذكر التأثير الكبير الذي تلعبه الشخصيات الكارتونية على مخيلة الطفل ونفسيته فقد يتخذ من هذه الشخصيات ولاء وقدوة له أمثال شخصية (اسبونج بوب) و(بن ١٠) حيث انعكس ذلك على المنتجات والسلع والألعاب والأدوات المدرسية للطفل. وتأثير الأفلام والألعاب التي تثير العنف على ثقافة الطفل مثل لعبة (اله الحرب) شكل (١١)

نتائج البحث:

لقد توصل الباحثان إلى مجموعة من النتائج والاستنتاجات وهي:

١- إن الاهتمام بأدب الأطفال في العالم والوطن العربي قد دخل الحياة الثقافية من باب التبعية الثقافية والإعلامية (التغريب) أي الغزو الثقافي عبر وسائط ثقافية متعددة، وعبر وسائل الاتصال بجماهير الأطفال التي تنوعت وزاد تأثيرها بما لم تستطع وسائل القياس أن تحيط به في ظل تردي البحث الجاد والفاعل في أدب الأطفال.

٢- ضعف الموقف العربي إزاء تكوين وتأسيس هوية ثقافية للطفل وما يزال أدب الأطفال خارج إستراتيجية العمل الثقافي العربي المشترك، مما يشير إلى ضعف إدراك أهمية أدب الأطفال في التكوين الإنساني والاجتماعي وفي مواجهة التحديات المصيرية في الوقت نفسه، وإلى إهمال التخطيط الثقافي القومي في مجالات أدب الأطفال المختلفة ووسائطه المتعددة.

٣- قلة المتابعة من قبل الأسرة على تلقي الطفل للبرامج عبر الوسائط والوسائل الناقلة للثقافات العالمية وعدم وجود الرقيب والناصح للطفل والناقد للافكار والغزو الثقافي.

٤- عدم وجود البدائل الصحيحة والضاغطة لثقافة الطفل.

٥- اهمال مسرح الطفل وعدم تفعيله بالصورة الايجابية خدمة لمهارات وخيال الطفل وتنمية طاقاته الابداعية.

٦- قلة المؤسسات الفاعلة لثقافات الطفل وان وجدت فإنها بطيئة وقليلة الإنتاج.

٧- قلة وجود قنوات فضائية فاعلة تهتم بثقافة الطفل.

٨- الاعتماد على الافكار المستوردة من الغرب وسيطرة العولمة على المنتج الثقافي والفني وعلى المنتج المادي كالسلع والادوات الأخرى.

٩- يعمل الغزو الثقافي على محو الهوية العربية والإسلامية لثقافة الطفل وقد نجح بذلك عبر تفعيل الافكار المسمومة والعادات السيئة من خلال وسائل الاتصال المتنوعة.

١٠- يعمل التغريب على تجنيس ثقافة الطفل عبر التطبيع المفتوح المتمثل بمختلف وسائل الاتصال وانواعه من خلال تذويب الحدود والحواجز الثقافية والمعتقدات والافكار فهي ترى الثقافات من منظور شمولي عولمي.

١١- يعمد الغزو الثقافي على اعطاء اهمية كبيرة على افلام الكارتون والرسوم المتحركة لأنها تشكل الحاضن الرئيسي لها لكسب الطفل لما تحتويه هذه الوسائط من امكانية ضاغطة ممغنطة لفكر الطفل وخيالة.

١٢- انحدار القصة العربية والتاريخية والثقافية ولا نبالغ إذا ما قلنا أنها اهملت بشكل كبير عند اغلب الاسر وذلك لقلة المؤسسات الثقافية الفاعلة وقلة نتاجها وان وجدت فغلاء اسعارها مما يصعب عملية شراء الكتب والمجلات والقصص.

١٣- يعمل الغزو الثقافي على تنميط وهيمنة وتغريب ثقافة الطفل من خلال الانفتاح الكبير للوسائل الاتصال والوسائط الالكترونية وانتشار الكتاب

الالكتروني بديلا عن الكتاب الورقي.

١٤- يعمد التغريب على تغطية الكبيرة للاعلام مما يظلل المفاهيم الفكرية والثقافية للهوية العربية والإسلامية.

١٥- لم يعد الكتاب المنافس الأول في عالم وسائط ثقافة الطفل في ظل الغزو الثقافي سببها التقنية العالية والحديثة التي هيمنت على النقالات والاجهزة الكومبيوتر والالعاب الالكترونية وافلام الرسوم المتحركة بعوالمها واشكالها وشخصياتها الغربية التي اصبحت تهدد ثقافة الطفل الفكرية والخيالية والعقائدية.

١٦- سهولة الوصول ومشاهدة القنوات الفضائية عبر الانفتاح الكبير عبر الأقمار الصناعية مما يسهل لمخططات الغزو الثقافي.

١٧- ضعف دور التربية والمؤسسات الثقافية في تفعيل الهوية الثقافية للطفل وقلة الطروحات التنفيذية لنشاطات الطفل.

١٨- تلعب الاستعارة الصورية دورا كبيرا في تنمية ثقافة الطفل وقد حل التغريب الصوري محل الهوية الخاصة في استعارات صور خيالية غير واقعية متمثلة في ترسيخ الأفكار العولمية.

١٩- تأخذ الوسائل النقلة لثقافة الطفل أمثال البث الفضائي والتلفاز والألعاب الالكترونية الوقت الأكبر من الطفل وبالتالي تعمل على ضعف المقدرة الخيالية لديه وتترك سلوكا مغاير.

٢٠- قلة تفعيل دور الأدباء والكتاب والفنانين في تنمية ثقافة الطفل.

٢١- إهمال مسرح الدمى الذي يمثل الأداة الفاعلة في تنشيط خيال الطفل وتفاعله.

التوصيات:

١- إقامة مؤسسة عربية لإنتاج وسائل ثقافة الطفل العربي بكافة أشكالها يكون هدفها توحيد الجهود في هذا المجال وتشجيع المبادرات المتميزة في أكثر من بلد عربي.

٢- إقامة معارض فنية تشكيلية وتنشيط الدور الفاعل للطفل.

٣- إقامة مهرجانات تثقيفية وفنية ورصد الجوائز كي يحفز الطفل ويشارك بهذه الفعاليات.

٤- تفعيل دور المؤسسات الثقافية ودور النشر والاهتمام بمنشورات الطفل وبتقنية عالية وتفعيل دور الفنانين والأدباء والشعراء في ذلك.

٥- اعتماد اللغة الفصحى المبسطة للغة العربية في مخاطبة الأطفال والكتابة إليهم، والعمل على وضع رصيد لغوي متدرج لكتّاب أدب الأطفال.

٦- العمل على إقامة ورش وندوات للأسرة لتأكيد الدور الخطير الذي يلعبه الغزو الثقافي للطفل التأثير سلبا على هويته ومعتقده لا الاعتماد على البحوث الاكاديمية فقط.

٧- الاهتمام بمكتبة الطفل وتوفير الأدوات اللازمة لبناء صرح ثقافة الطفل عبر الموسوعات الثقافية بكافة أنواعها واختصاصاتها مع مراعاة الفئة العمرية للطفل في التعلم لأنها تتيح للأطفال فرصا للقراءة الحرة المنوعة منذ البدايات المبكرة من أعمارهم وهى طبقا للأفكار والمعايير الحديثة تعتبر مركزاً تعليمياً يعين الأطفال على مواصلة التثقيف الذاتي ويساعدهم الوصول إلى مفاتيح المعرفة بأنفسهم. مع الاكثار من انشاء المكتبات وخاصة في المناطق ذات المستوي الاقتصادي المنخفض وذلك للارتقاء بالمستوي الثقافي والفكري لديهم



الشكل(1)



الشكل(2)



الشكل(3)



الشكل(4)



الشكل(5)



الشكل(6)



الشكل(7)



الشكل(8)



٢٢

الشكل(9)



الشكل(10)



الشكل(11)



الشكل(12)

هوامش البحث ومصادره

♦ القران الكريم

١- الهيتي، هادي نعمان: ثقافة الطفل، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٨، ص١٧.

٢- اسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: معجم مصطلحات العولمة، ٢٠٠٣، ص١٦٦.

٣- الهيتي، هادي نعمان: مصدر سابق، ص٢٧-٢٦.

٤- طلال عتريسي: العرب والعولمة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط(٣)، بيروت، ٢٠٠٠، ص٤٦.

٥- الهيتي: هادي نعمان، المصدر السابق، ص١٧١.

٦- ــــــــــ: المصدر نفسه، ص١٢٤.

٧- الجرجاوي، زياد بن علي محمود، دور برامج الاطفال المتلفزة في تدعيم قيم الطفل من وجهة نظر بعض العاملات في رياض الاطفال(د.ت)، ص٩.

٨- ــــــــــ: المصدر نفسه، ص٨.

٩- ابراهيم حماده: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، دار الشعب، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢٩٩.

١٠- عدنان خلف ساهي: واقع الموسيقى والغناء في عروض مسرح الطفل العراقي المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة البصرة، كلية الفنون الجميلة، ٢٠٠٩، ص١١.

١١- المويل، فاضل عباس: مسارح الطفل في الكويت، (د.ت) ص١٣-١٤.

١٢- أبو هيف، عبد الله: الغزو الثقافي وأثره على ثقافة الطفل، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ٢٠٠١، ص٢٣.

١٣- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: المصدر السابق، ص٤٩٧.

١٤- أبو هيف: الغزو الثقافي وأثره على ثقافة الطفل، ص,٤٥

١٥- عمر التومي الشيباني: التغريب والغزو الصهيوني، مجلة "الثقافة العربية"، ليبيا، ع١٠، س٩٠، ١٩٨٢، ص,١٦٢

١٦- ابن منظور: لسان العرب، ٦٣٨/١ - ,٦٣٩

١٧- ابو هيف، عبد الله، التنمية الثقافية للطفل العربي، من منشورات اتحاد كتاب العرب، ٢٠٠١، ص٢٢٥.

١٨- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: المصدر السابق، ص٣٣٤ - ٣٣٥.

١٩- المؤتمر العام العشرون للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب - دمشق ١٨-١٩٩٧/١٢/٢١م.

المجلات:

١- مجلة ٩٩: مجلة تصدر عن تشكيل كومكس التابعة لشركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع، عدد خاص، العدد الرابع، ٢٠٠٧.

٢- مجلة العربي الصغير: الصفاة - الكويت، العدد ٢٠٩، فبراير، ٢٠١٠.

٣- مجلة دار الرافدين: الدار الوطنية للنشر والتوزيع، دار الحرية للطباعة، العراق - بغداد، (١٩٨٠).

٤- مجلة علاء الدين، مؤسسة الاهرام،السنة الثانية عشرة، يونيو، ٢٠٠٥، العدد، ٦٢١.

٥- مجلة تصدر عن تشكيل كومكس، العدد الثاني، الصفاة - الكويت، عدد خاص،٢٠٠٦.

٦- مغامرات تان تان، تصدر عن موقع (عرب كومكس) www.arabcomics.net